يوميات الشرق

«دليل المتحف الوطني» كنوز لبنان بين يديك

جرى إصداره بالتعاون بين وزارة الثقافة والسفارة الإيطالية



بيروت: فيفيان حداد

آخر تحديث: 01:09-7 مارس 2021 م . 24 رَجب 1442 هـ
نُشر: 22:39-6 مارس 2021 م . 23 رَجب 1442 هـ

يشكّل المتحف الوطني بالنسبة للبنانيين رمزاً تراثياً يواكبهم منذ صغرهم. فهو أول معلم تاريخي يتعرفون إليه في صفوفهم الدراسية الأولى. غالبية المدارس تدرج زيارته على برنامج نشاطاتها الثقافية. وربما كثيرون منهم لا يتذكرون منه سوى مشاهد قليلة غير واضحة في خيالهم مع مرور الزمن. اليوم وبعد مرور 20 عاماً على صدور نسخة مختصرة من «دليل المتحف الوطني في بيروت»، وقبلها نسخة عام 1975. أطلق وزير الثقافة في حكومة تصريف الأعمال عباس مرتضى نسخة جديدة وموسعة منه.

ويأتي هذا الدليل الجديد ثمرة تعاون بين الوزارة والسفارة الإيطالية في لبنان. وهو يشكل المرحلة الأخيرة من مشروع إعادة تأهيل المتحف الوطني «تحسين العرض الثقافي للمتحف الوطني في بيروت: العرض الجديد للسرداب» الذي تم تنفيذه بين عامي 2014 و2016.

يتألف الدليل من 256 صفحة صدرت منه نسخ في أربع لغات: العربية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية. أشرفت وزارة الثقافة على طباعته بتمويل من الوكالة الإيطالية للتعاون الإنمائي (AICS Beirut) بإدارة دوناتيلا بروسيزي. أما نصوصه فتوقعها آن ماري عفيش المديرة العامة للهيئة العامة للمتاحف. فيما تولّت روزا ماريا أغليسياس مورسيلي عملية التصميم، وأخذت وكالة «زوارت كرياتيف» في روما على عاتقها مهمة التنسيق التحريري.

يتصدر غلاف الدليل صورة لمجموعة نواويس موجودة في الطابق السفلي للمتحف وتعرف بالنواويس المجسمة تم اكتشافها في مدينة صيدا الجنوبية. وإذا ما تصفحت أوراقه الـ256 تكتشف معلومات مرفقة بالصور عن الكنوز الأثرية التي يملكها لبنان، ويجمعها الدليل في محتوى متكامل التنسيق.

وبعد وقوفك على نبذة عن تاريخ المتحف تبدأ رحلتك مع هذا الدليل الذي يمكن أن يضيء لزائر المعلم على أهمية محتويات كل من طوابقه الثلاثة (الأرضي والأول والسفلي). فيعيش حكايات وقصصاً من عصور ما قبل التاريخ إلى العصر الكالكوليتي والفتح العربي في العصر المملوكي وغيرها، إضافة إلى قطع دمرت خلال الحرب الأهلية اللبنانية بين أعوام 1975 و1991.

وفي الصفحة 9 من الدليل يطالعك مخطط المتحف ويشير ضمن تصميم واضح التنسيق إلى الحقبات التاريخية، التي في استطاعة الزائر الاطلاع عليها في طوابقه الثلاثة وفق ترتيب تسلسلي. وهي موزعة على 10 عناوين رئيسية بينها الفتح العربي - الفترة العثمانية والحقبات البيزنطية والرومانية والهلنستية والبرونزية إضافة إلى عصور الحجر الحديثة والقديمة والوسطية. ويقدم للكتاب كل من الوزير عباس مرتضى والسفيرة الإيطالية نيكوليتا بومبارديري. ي نوهان بأهمية الدليل الذي يسمح للزائر بالتعرف إلى التنوع الحضاري الغني الموجود في المتحف. ويعد هذا الدليل نتاج تراكمات خزنتها كاتبة نصوصه آن ماري عفيش طيلة فترة عملها في المتحف منذ عام 1994. فهي تعرف معلومات جمّة عن القطع الأثرية المعروضة. وقدمتها بروح الأم التي تخاف على أولادها مجتمعين من دون تفريق. وتقول في حديث لـ«الشرق الأوسط»: «كانت هناك صعوبة في اختيار القطع التي يحكي عنها الدليل. فكل قطعة منها تحكي قصة وترمز إلى أسطورة أو حكاية يستمتع قارئ الدليل في التعرف إليها. ولكني رغبت في تسليط الضوء على التنويع الذي يسود تاريخ هذه القطع واكتشافها من نواحٍ عديدة. فهذا التنويع يشمل عملية توثيق لتشكيلة مميزة تعطي فكرة عن التسلسل الزمني لتاريخ لبنان. كما يلقي الضوء على ثراء مناطق لبنانية مختلفة في موضوع الآثار».

وعن سبب اختيار صورة النواويس لغلاف الدليل تقول: «هذا الخيار يعود إلى الإيطاليين الذين وجدوا فيها اختصاراً وعنواناً لمرحلة إتمام مشروع إعادة تأهيل الطابق السفلي من المتحف. وقد رصد له مبلغ مليون و20 ألف يورو وأرادوا أن يصدروا منشوراً عن تجديد هذا الطابق. فارتأيت أن نصدر هذا الدليل بدلاً عن المنشور المرتقب فيكون شاملاً لمختلف طوابق المتحف من دون استثناء».

قلة من اللبنانيين تعرف بمناطق أثرية لبنانية غير بعلبك وصور وجبيل وصيدا وبيروت. وهو ما أوردته آن ماري عفيش في الدليل، فيطل على آثارات وجدت في بلدات خلدة (الساحل الجنوبي) وشحيم (في إقليم الخروب) وعينتيت (في البقاع) وغيرها. وتعلق آن ماري عفيش في سياق حديثها: «كان من الضروري لفت الانتباه إلى هذه القيمة التاريخية التي يتمتع بها لبنان. ويأتي الدليل ليروج لها فيشمل التنوع والتسلسل الزمني المتكامل لنفهم تاريخ لبنان عن كثب، إضافة إلى جمالية المشهد الأثري وما تتضمنه من قطع لافتة للنظر». يسلط الدليل أيضاً الضوء على شخصية لبنانية لعبت دوراً كبيراً في إنشاء المتحف والحفاظ على محتوياته وهو المير موريس شهاب. ومع عملية التجديد التي شهدها المتحف أطلق اسمه على إحدى صالاته (صالة هيجيا آلهة الصحة) في الطابق الأرضي ضمن مرسوم رسمي صدر عن الدولة اللبنانية. زوار المتحف كانوا يطالبون دائماً بضرورة وجود دليل يسهم في تسهيل زيارتهم وعلى أسس واضحة. وهو ما يخولهم القيام بجولة منظمة. وتوضح عفيش: «في الطابق الأرضي نشاهد المجموعة الحجرية الكبيرة من نواويس ونصب مدفنية وفسيفساء. وفي الطابق الأول نتعرف إلى القطع الأثرية الأصغر حجماً، فيما الطابق السفلي خصص للفن الجنائزي». وعن إدراج القطع التي دمرتها الحرب اللبنانية المعروضة في الطابق الأول تشرح أن ماري عفيش: «هناك تسلسل زمني في هذا الطابق يتألف من 70 واجهة تتضمن قطعاً فخارية وزجاجية وقطنية غيرها. الأولى منها تعود إلى ما قبل التاريخ ونصل بعدها إلى الفترة العثمانية وفي آخر واجهة من الطابق (الواجهة رقم 70) رغبنا في تعريف الزائر بمرحلة الحرب اللبنانية. وفيها قطع أثرية تدمرت خلال الحرب، لم نعمل على ترميمها، بل تركناها محروقة أو ملتصقة ببعضها لتبقى شاهداً حياً عن تلك الفترة».

يبلغ سعر الدليل 80 ألف ليرة لبنانية يعود ريعه إلى خزينة المتحف وما يتعلق بالصيانة. وتنضم عملية إصدار الدليل إلى تحديث آخر شهده المتحف في عام 2014 عندما وضع له تطبيقاً إلكترونياً (National museum of Beirut) كان الأول من نوعه في منطقة الشرق الأوسط. يسمح لمتابعه أن يستمع إلى شروحات حول طوابق المتحف الثلاثة ومحتوياتها. آن ماري عفيش التي تطوعت للقيام بهذا العمل من دون مقابل لشغفها الكبير بعملها تختم حديثها لـ«الشرق الأوسط»: «إن متاحف اليوم تتجه صوب العالم الافتراضي بشكل ملحوظ. ولكن كان لا بد أن يبقى للورق والكتاب والمنشورات مطرحها ومكانتها في العصر الحديث. فمن الجميل أن يشتري الزائر الدليل ويحتفظ به كذكرى من تجربة عاشها. فالدليل هو بمثابة هدية نقدمها له بالتعاون مع السفارة الإيطالية المشكورة، على كل الجهد الذي قامت به، لإعادة البريق إلى المتحف الوطني».

مواضيع لبنان